

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

نعمـــة المـــاء

" نحو استخدام رشيد للمياه "

إشراف ومراجعة وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

القاهرة

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م





جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

نعمة الماء

" نحو استخدام رشيد للمياه "

إعداد

أ.د/ محمد سالم أبو عاصي
الأستاذ بكلية أصول الدين وعميد
كلية الدراسات العليا السابق

د/ هاني سيد تمام
مدرس الفقه بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين
بالقاهرة

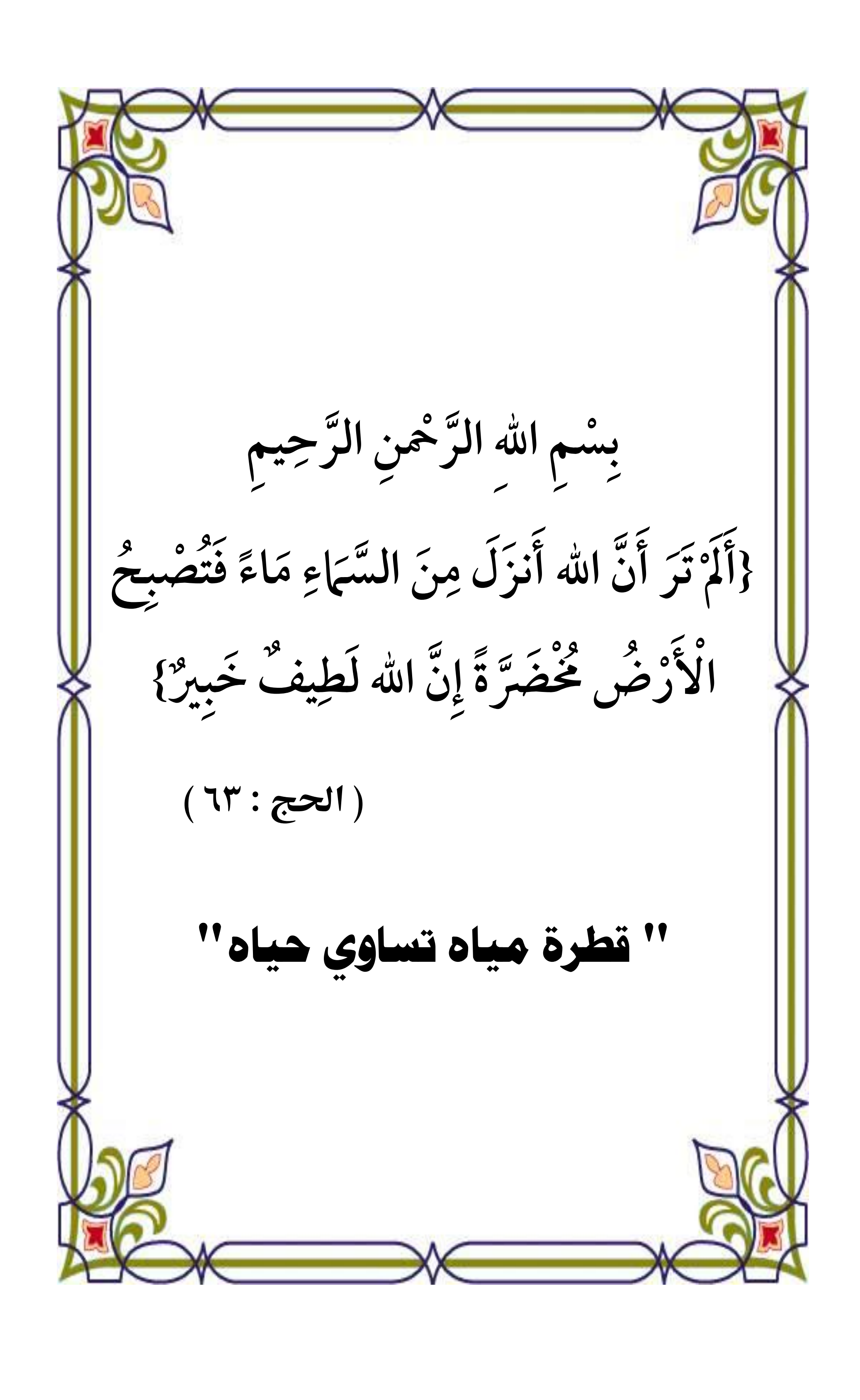
د/ ياسر أحمد مرسي
مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين بالقاهرة

د / أيمن أبو عمر
مدير عام الفتوى والبحوث
بوزارة الأوقاف

مع ملحق فني من إعداد وزارة الموارد المائية والري

إشراف ومراجعة وتقديم
أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٣٩هـ /٢٠١٨م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ}

(الحج : ٦٣)

" قطرة مياه تساوي حياه"

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقـــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين ،

وبعـد :

فلا شك أن قضية المياه أحد أهم التحديات المعاصرة ، وأن التحولات المناخية قد تزيد الأمور تعقيدًا في كثير من مناطق العالم ، مما يتطلب وعيًا وطنيًّا وإقليميًّا ودوليًّا بقضايا المياه ؛ وحتى في حالة الوفرة المائية فالحفاظ على الماء وترشيد استخدامه أمر مطلوب ، فعندما مرَّ النبي (صلى الله عليه وسلم) بِسَيدنا سعْد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ: (مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ ؟) ، قَالَ سعد : وَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ) (رواه أحمد)، كما أننا نجد بعض الدول رغم الوفرة المائية الشديدة لديها تطبق الترشيد بقوة ، وفي أعلى درجاته ، حتى يصير الترشيد ثقافة مجتمع ، وثقافة شعب ، وثقافة أمة، وهذا هو منهج ديننا الحنيف الذي نبذ الإسراف في كل شيء ونهى عنه ، يقول الحق سبحانه:{وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ }[الأعراف:٣١]، ويقول سبحانه :{ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا }[الإسراء:٢٦-٢٧]، ولا شك أن التبذير أعم من أن يكون في المال ، فإنه يشمل التبذير في جميع المجالات بما فيها الإسراف في استخدام الماء وغيره .

ولقد عُرِفَ الشعب المصري منذ نشأته بأن عقيدته تقوم على احترام نعمة مياه نهر النيل ، وتقوم ثقافة أبنائه منذ القدم على الحرص على نهر النيل وعدم تلويثه ، واعتبار تلويثه جريمة من الجرائم الكبرى ، وقد كان المصري القديم يكتب ضمن وصاياه في نهاية حياته أنه لم يفعل كذا وكذا من الجرائم، وأنه لم يلوث ماء النهر ، وكأنه يتقرب إلى إلهه بهذه الفضيلة، وابتعاده عن تلك الجريمة النكراء ، جريمة تلويث مياه النهر ، فهذه ثقافة المصريين منذ القدم ، وعقيدتهم منذ الأزل في احترام مياه النهر، والحفاظ على المياه ، وعدم تلويثها ، وهو ما أكدت عليه شريعتنا الغراء .

وفي هذا الإطار يسرنا أن نقدم للمجتمع المصري هذا الكتيب الذي يتحدث عن أهمية نعمة المياه ، وأثرها في بناء الحضارات ، وضرورة المحافظة عليها من خلال ترشيد استهلاكها ، وعدم الاعتداء عليها ، مع ملحق فني من إعداد وزارة الموارد المائية والري؛ لأن كل نقطة ماء يمكن أن تكون سببًا في حياة إنسان ، أو حيوان ، أو طائر ، أو نبات ، وإهدار كل نقطة ماء قد يعني إهدار حياة ، كما أن كل نقطة ماء تساوي مالاً مقومًا ، وفقدها أو إهدارها يعني مالًا مقومًا يذهب هدرًا ، كما أن الحفاظ عليها نقية بلا تلوث يعد حفاظًا على ثروة مالية ، وأن تلويثها يعني إهدارًا مائيًّا وماليًّا معًا ، لأن تنقيتها تترجم إلى مال وأثرها على الصحة لا يقوم بمال .

والله من وراء القصد ، وهو الموفق والمستعان .

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

الماء والعمران وصناعة الحضارات

١ـ تعريف الماء:

بدايةً : نحن لا نُعَرِّف الماء لجهالته ، بل تنويهًا بشأنه وعظم مكانته كضرورة من ضروريات الحياة ، ولعل أدق تعريف للماء أنه: سائل الحياة الذي ينزله الله (عز وجل) من السماء ويسكنه في الأرض، أو يفجره ينابيع في الأرض ، قال تعالى: {أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا}[الرعد: ١٧]، وقال سبحانه:{ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا}[النازعات: ٣٠، ٣١]، وقال عز وجل:{فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ}[محمد : ١٥].

٢- حديث القرآن الكريم عن الماء :

القرآن الكريم فياض بالإشارات العلمية حول الماء، ودوره في الحياة، وكيفية إنزاله، وحفظه في باطن الأرض، وكونه مصدرًا للحياة ، ومن هنا نعرض السمات البارزة للماء بين القرآن الكريم والعلم الحديث للتأكيد على أن الماء معجزة إلهية، ومن ذلك:

* **أن الماء هو مصدر الحياة للكائنات الحية** ، قال تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }[الأنبياء: ٣٠]، ولذلك قلنا في تعريفه: سائل الحياة .

وثمة سنن كونية في الماء باختلاف أشكاله ووظائفه ، فهناك سنن

تتعلق بكونه سحابًا مركومًا ، وأخرى تتعلق بسيولته ، وثالثة تجعل من هذه السيولة أنهارًا تجري وعيونًا تتفجر، ثم سنن تدفعه دفعًا ليجري في عروق الأشجار، وأغصانها، وأفنانها، وأوراقها، وثمة سنن تجعل من الماء عبارة عن وسط كيماوي بحيث يصلح للنهوض بالوظائف الحيوية المتنوعة والمهمة في أنحاء مختلفة ما بين ماء في الدماغ ، وآخر في الرئتين، وثالث في الجسم كله.

ثم هناك سنن تُصَيِّـرُ الماءَ جزءًا من الدم والعروق ، وقبل هذا كله فأصل الإنسان دفقة مائية، قال تعالى: { فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ }[الطارق: ٥، ٦].

* ومن ذلك أيضًا : **أن الأرض مصدر من مصادر الماء** ، قال تعالى: {وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا}[النازعات: ٣٠، ٣١]، فالآية تقرر أن الماء خرج من الأرض بقدر الله ، وهذا ما أثبته العلم الحديث ، فمن المعلوم أن مصدر الماء الذي في باطن الأرض هو من البحار والمحيطات التي عليها بعد أن تبخرت ونزلت مرة أخرى على هيئة مطر بتقدير إلهي.

* ومن ذلك: **إسكانه في الأرض**، قال تعالى:{وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ } [المؤمنون: ١٨]، وقال تعالى:{قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ }

[الملك:٣٠] ، وقال تعالى:{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }[البقرة :٧٤] ، ويقول سبحانه : { فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ } [عبس: ٢٤ – ٣٢] ، فآية (المؤمنون) تشير إلى دورة الماء في الطبيعة، حيث ينزل الله تبارك وتعالى الماء الذي هو المطر من السماء التي هي جهة العلو بقدر، أي: حسب ما يقتضيه التدبير الإلهي الذي يقدره بقدر، لا يزيد قطرة على ما قدر ولا ينقص، فأسكنه سبحانه في الأرض ، فهو من الذخائر المدخرة من الماء في الجبال والسهول والصحاري ، تنفجر عنه العيون والأنهار والآبار، وهو القادر سبحانه على أن يُذهب الماء الذي أسكنه ذهابًا في باطنها لا يُستطاع الاهتداء إليه ولا الحصول عليه إلا بأمر الله وإذنه، وهذا ما أشارت إليه آية (الملك) حيث يقول تعالى :{ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ }[الملك: ٣٠].

وفي آية (البقرة) يطالعنا الإعجاز العلمي عبر مظهرين : الأول متعلق بقساوة الحجارة. والثاني : يتعلق بحفظ الماء في الأرض التي من أجزائها

الحجارة ، يقول الطاهر بن عاشور: (وقد أشارت الآية إلى انفجار الماء من الأرض من الصخور منحصرة في هذين الحالين ، أي التشقق والانفجار) (التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ١ / ٥٦٥).

ويقول الإمام الرازي في تفسير قوله (بِقَدَرٍ) : (معناه بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون إلى المنفعة، أو بمقدار ما علمناه من حاجاتهم ومصالحهم)، أما قوله (فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) قيل معناه : جعلناه ثابتًا في الأرض ، أما قوله: (وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) : أي كما قدرنا على إنزاله فكذلك نقدر على رفعه وإزالته (تفسير مفاتيح الغيب: ٢٣/ ٨٩) .

* ومن ذلك: **تصريفه بقدر** ، حيث يقول الحق تبارك وتعالى :{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا } [الفرقان: ٥٠]، وفي سورة الزخرف يقول سبحانه :{ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ }[الزخرف: ١١] ، فهذه آيات محكمات تدور حول نزول الماء بقدر معلوم ، وتصريفه بين عباد الله بتقدير الخالق العظيم ، فلفظة { بِقَدَرٍ } على ما سبق بينت دورة الماء في الطبيعة ، وهذا من روائع الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

وأما قوله سبحانه:{ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ }فهي تشير إلى لفتة إعجازية متعلقة كذلك بدورة الماء ، حيث تبين اختلاف النسب باختلاف الأمكنة مع ثبات كمية الماء المُصَرَّف.

ومن هنا ينبغي أن يتدبر الناس آية (الحجر) ، قال تعالى:{ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ }[الحجر: ٢١، ٢٢]، فدلالة الآيتين بإيجاز أن الله تعالى يقول: نحن القادرون على إيجاد الماء وإنزاله وخزنه ، وما أنتم على شيء من ذلك بقادرين.

* ومن ذلك : **غوره وذهابه** ، ففي القرآن الكريم يقول تعالى:{ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ }[الملك: ٣٠]، ويقول سبحانه: { أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا }[الكهف: ٤١] ، فقد أودع الله الماء في بواطن الأرض رحمة بالحياة والأحياء ، وهذا الرصيد من الماء يسحب الناس منه ، فإذا زاد السحب عن الوارد صار الماء غورًا ولا يعوضه إلا الله.

فمما سبق يظهر جليًّا عظم التدبير والتقدير بشأن هذا المخلوق العجيب في ماهيته السيالة العجيبة وانبناء الحياة عليه ، وكيف يسير هذه الدورة العجيبة صعودًا وهبوطًا وتخزينًا وظهورًا ، مما يدل دلالة قاطعة لا شك فيها على مدبر مبدع حكيم ، هو الخالق سبحانه وتعالى جل شأنه .

ولا يخفى أن قوله تعالى: (بِقَدَرٍ)، وقوله تعالى:(وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ) يدلان دلالة قاطعة على صدق نبوة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، فلم يكن أمام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مصدر يخبره بنزول الماء من

السماء على هذا التقدير في التصريف والتخزين وطبيعة الحجارة وتشقيق الأرض الذي لولا تقديره لما تم تخزين الماء ولا حفظه. يؤكد ذلك ما كشفته العلوم الحديثة من وجود مسام في الصخور وفراغات في بعضها وأنها ليست كلها صماء، وأنها بذلك تكون عنصرًا لتخزين الماء تحت الثرى وكذا الشقوق الأرضية والممرات التي تمر من خلالها المياه الجوفية ، فإن لم توجد هذه التهيئة الدقيقة المعدة لحفظ أهم مصدر للحياة وكذا ما يعتمد عليه الإنسان في حياته من نفط وغاز طبيعي... لما كان ثمة حياة ، فيا لها من منة منّ الله (عز وجل) بها على عباده ، وياله من إعجاز علمي دقيق أفصح عن خالقه العظيم الذي أبدعه وقدره ، وعبَّر عن صدق الرسالة والنبوة .

٢ـ الماء نعمة :

أ- **الله يمتن بإنزال الماء للشرب** : قال تعالى:{أَفَرَءَيۡتُمُ ٱلۡمَآءَ ٱلَّذِي تَشۡرَبُونَ ۝٦٨ ءَأَنتُمۡ أَنزَلۡتُمُوهُ مِنَ ٱلۡمُزۡنِ أَمۡ نَحۡنُ ٱلۡمُنزِلُونَ ۝٦٩ لَوۡ نَشَآءُ جَعَلۡنَٰهُ أُجَاجٗا فَلَوۡلَا تَشۡكُرُونَ }[الواقعة: ٦٨- ٧٠] ، فالماء العذب الذي جعله الله تعالى للشرب كان في الأصل ملحًا أُجاجًا لا ينتفع به الإنسان ، إذ هو آت من البحار ثم تبخر وصعد إلى السماء ، ثم أنزله الله برحمته من السحب عذبًا فراتًا سائغًا للشاربين. يقول الدكتور محمد أحمد الغمراوي في كتابه (الإسلام في عصر العلم) : إن نعمة الله على الناس في الماء العذب أكبر من أن يقوموا بشكرها ؛ لأن كل ماء عذب في الأرض كان أجاجًا في الأصل إذ هو آت من ماء البحار .

ب – **تعدد وظائف الماء ومنافعه بالنسبة للحياة والأحياء**:

للماء عدة تصرفات ووظائف:

١. **ما يسكن في الأرض** ، قال تعالى:{ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ }[المؤمنون: ١٨].

٢. **ما يسلك ينابيع في الأرض**، قال تعالى:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ }[الزمر: ٢١].

٣. **وما يساق ليجري أنهارًا**، قال تعالى:{ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ}[الرعد:١٧].

ويجب أن نعي أن كل فعل من الثلاثة يعكس حالة الماء في الصورة المتحدث عنها ، فقوله تعالى:{فَأَسْكَنَّاهُ} تدل على أنه مسكن الماء الأرض، وقوله سبحانه :{ فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ }تدل على أن الماء أخذ طرقًا وشقوقًا ينساب فيها ينابيع في باطن الأرض، وقوله جل شأنه:{فَسَالَتْ }تدل على انصبابه على سطح الأرض من الأودية المجاورة للأعالي.

كما ينبغي أن نلحظ دور الفاء في السياقات الثلاثة وإفادتها التعقيب.

* **أما منافعه** فكثيرة ومتنوعة ، ففوق أنه حياة للإنسان ، فبه تخرج الزروع والأشجار التي بها حياة الإنسان. ونقرأ في القرآن الكريم أنه تعالى يخرج الزرع من الماء بأنواعه وألوانه وأشكاله المختلفة ، قال تعالى:{ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ }[البقرة: ٢٢]، ونقرأ قوله سبحانه:{فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ} [الأعراف: ٥٧]، ونقرأ قوله عز وجل:{ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ }[طه: ٥٣]، ونقرأ كذلك قوله سبحانه :{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ} [فاطر: ٢٧] ، وكذلك نقرأ قول الله عز وجل:{ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ }[الأنعام: ٩٩] .

والمتأمل في هذه الآيات الكريمة يلاحظ تحقيق مصالح الإنسان مما يدل دلالة قاطعة على أن عناية الله بنفع عباده لا تقل عن عنايته بالسنن الكونية التي تنظم هذا الوجود ، كما نلاحظ أن هذه الآيات تدل على العلاقة المباشرة بين

الماء والحياة على وجه الأرض، وذلك عندما نتأمل فاء العطف والتي تفيد الترتيب والتعقيب في قوله: { أَنْزَلَ ... فَأَخْرَجَ }.

أما في قوله (عز وجل) : { وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا }[النبأ: ١٤ – ١٦] فكلمة ثجاجًا، أي: غزيرًا مَنْصبًا ينزل كالسيل قد لا يحتمله النبات ، ومن ثم فالله ينزله أولاً على الجبال لتتحمل قوته، وهنا يقول الحق سبحانه:{ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا }[المرسلات: ٢٧]، وبناءً على هذا نرى أن الزروع التي تنبت إما أن يكون إنباتها عن طريق المطر مباشرة ، أو عن طريق الأنهار وروافدها.

ج- نعم الله على الإنسانية في البحار والأنهار

يقول البيان القرآني في سورة الرحمن: {مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ } [الرحمن: ١٩ – ٢٤].

فمن نعم الله على الأحياء أن منع طغيان البحار والمحيطات متى صبت فيها الأنهار واختلطت بها فلا يبغي المالح على العذب ولا العكس ، فقد حجز بينهما القدير سبحانه بحاجز من قدرته ، وفي بلدنا نرى نهر النيل العظيم الذي يخرج من جبال الحبشة وغيرها ، ويجري شمالا حتى يصب

في البحر الأبيض المتوسط ولا يبغي أحدهما على الآخر، وفي هذا المشهد المعجز، يقول البيان القرآني:{ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا مَّحۡجُورٗا }[الفرقان: ٥٣].

ومن نعم الله كذلك أنه يخرج من البحار والأنهار اللؤلؤ والمرجان، فاللؤلؤ كما يستخرج من البحر المالح، كذلك يستخرج من الماء العذب، وكذلك المرجان، وإن كان الغالب أنه يستخرج من الماء المالح .

ومن نعم الله تعالى كذلك جريان السفن الشاهقة في البحر بما فيه مصلحة البشرية من حمل تجاراتهم وبضائعهم من بلد إلى آخر ، ولنا في قناة السويس عبرة ، قال تعالى: {وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ } [الرحمن: ٢٤] ، ولله در القائل:

الشمس والبدر من أنوار حكمته ** والبر والبحر فيض من عطاياه

ومن نعم الله تعالى أن جعل البحار والأنهار مصدرًا للثروة السمكية حيث قال تعالى:{ وَمَا يَسۡتَوِى ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا }[فاطر: ١٢]، أي ومن كل من المالح والعذب تأكلون السمك الغض الطري فضلاً من الله ونعمة. كما أن من نعمه أنكم تستخرجون منهما الدر والياقوت والمرجان من الملح والعذب، وتجري السفن في كل منهما حاملة أقواتكم وبضائعكم من بلد إلى آخر ، ومن ثم ختم الله الآية بقوله{وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ } .

الصراع على الماء عبر التاريخ

لما كان الماء ضرورة حياتية مع ما يحمله من خيرات عظام، ويختزنه من نعم جسام كان الصراع عليه منذ فجر التاريخ البشري .

أقول: الصراع على الماء دائر سواء أكان على مستوى الأفراد أم على مستوى الجماعات أم الأمم ، وفي ذلك يقول الله تعالى في قصة نبي الله صالح (عليه السلام) مع ثمود:{ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا }[الشمس: ١٣، ١٤]، وكانت المياة مقسومة بين الطرفين،{ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ }[القمر: ٢٨].

وكذلك أمامنا ابنتا الرجل الصالح عند ماء مدين مع نبي الله موسى (عليه السلام) ، وما كان من تدافع أشد الرجال عليه، وانزواء الفتاتين بقطيعيهما حياءً وتأدبًا ، ونهوض الكليم (عليه السلام) بالسقي لهما، قال تعالى :{وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ }[القصص : ٢٣ ، ٢٤].

على أن الذين يؤرخون لتفاهم البشر حول الماء ينبغي أن تكون بداية هذه التفاهمات متمثلة في تلك المعاهدة التي أبرمتها بنت النيل هاجر مع قبيلة

جرهم حول سقياهم من ماء زمزم ، مقابل إيناسهم لها وتأمينهم إياها فوافقت، على ألا يمكنوا من الماء أحدًا سواهم ، إلا بالمفاهمة معها خوفًا على الماء من الغور.

ومن هنا نؤكد أن مشكلات المياه الدولية ينبغي أن يُدار التفاوض فيها على أسس التشارك الذي يحافظ على حياة الناس ، ويقوم بمصالحهم المشتركة دون ظلم أو جور من طرف على حساب الطرف الآخر؛ إذ الماء ضرورة حياة ، وإذا تعارضت مصلحة الحياة التي هي في القمة من الضروريات مع أي مصلحة دنيوية أخرى أو حاجية فإن المنطق والقانون والشرع يقولون بتقديم حياة الناس.

ارتباط الحضارات بالماء :

أ- الماء يسهم في صناعة الحضارات.

وفرة الماء عنوان للرقي الحضاري لأي دولة فمن خلاله تقام الحضارات ، وتورق الحدائق ، وتتجمل المدن ، وبإسهامه تبنى المشروعات الضخمة ، وفي قصة سبأ ما يتضمن ذلك ، قال تعالى :{ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ }[سبأ: ١٥]، لقد ازدهرت حضارتهم بالماء، فلما أعرضوا دمّرت حضارتهم بالماء أيضًا ، قال تعالى :{فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ

وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ}[سبأ: ١٦].

ب- ونقرأ أيضًا في حديث القرآن الكريم عن معركة بدر ما يفيد أن من أسباب النصر الماء، قال تعالى:{إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ}[الأنفال: ١١].

ج- وفي قصة نبي الله نوح (عليه السلام) ينجلي أن قومه نعموا بالحياة ابتلاء من الله – تعالى- فلما عتوا وأصروا على الكفر، ويئس نوح (عليه السلام) من دعوته إياهم لجأ إلى ربه بالدعاء ، فكان أن أوحي الله إليه قائلًا:{ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ }[هود: ٣٧]، وفي سورة (المؤمنون) قال تعالى:{فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ أَنِ ٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ }[المؤمنون: ٢٧].

وبذلك تم التمكين لنوح (عليه السلام) ومن آمن معه وكان الماء ركنًا ركينًا في تحقيق ذلك ، قال تعالى:{ فَفَتَحۡنَآ أَبۡوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٖ مُّنۡهَمِرٖ ١١ وَفَجَّرۡنَا ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ قَدۡ قُدِرَ ١٢ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ١٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ}[القمر: ١١، ١٥].

والمتأمل في نظم الآيات الكريمة يلحظ إسناد الفعل إلى ضمير العظمة{فتحنا}مما يعني أن الفاعل صاحب الحول والقوة، ولا دافع لمراده ، ولفظ {أبواب} جاء جمعًا ؛ دلالة على الكثرة والتنوع ، وتنكير {ما} للتعظيم والكثرة، ويؤيده الوصف بمنهمر، ودلالة {فجّر} وصيغتها الدالة على القوة، والفاعل ضمير العظمة للدلالة على أن قوة الفعل لا مثيل لها.

وقوله:{ ٱلۡأَرۡضَ عُيُونٗا } أدق وأدخل في الإعجاز ؛ إذ أفادت أن الأرض المعهودة كلها قد تفجرت عيونًا، وقوله:{ فَٱلۡتَقَى ٱلۡمَآءُ } جملة تفيد أن ثمة أكثر من مصدر للماء، وأن كل روافد هذه المصادر قد تضافرت لتصب في مكان واحد، ليتحقق أمر قد قُدر، وجملة :{ وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ} تفيد أن الآلة "الفلك"، وإن كانت بدائية فقد نجحت في أداء المهمة على الوجه الذي أراده الله (عز وجل) منها ، بسبب أن وراءها قدرة الله : "وَحَمَلۡنَٰهُ "، فهو الذي أمر ، وهو الذي سيّر ، وهو الذي حمل.

الماء ومقصد حفظ النفس:

حفظ النفس من مقاصد الشريعة الإسلامية والشرائع كلها ، ومن ثم يجب الحفاظ على الموارد الضرورية لحياة الناس من جهة، وصيانة البيئة من جهة أخرى.

وفي السنة الشريفة الثابتة ، وأقوال الفقهاء استفاضة في ذلك ، فنحن نقرأ في اجتهادات الفقهاء الخاصة بالماء أنهم كانوا يراعون مقاصد الشريعة في جانب حق الماء.

وأول حق من حقوقه: هو حق" الشَّفة " والمراد به حق بني آدم والدواب،

والزرع والنبات في شرب الماء لرفع العطش وحفظ النفس من الهلاك، وكذلك الحق في استخدامه لطهي الطعام أو التطهير والوضوء، وغسل الثياب ونحوها، وهذا كله متعلق بحفظ النفس.

والحق الثاني: هو حق" الشِّرب"، والمقصود به النوبة من الماء لسقي الأرض والزرع، وإعمار الأرض، وهذه الاستعمالات وغيرها لا يمكن الوفاء بها لكل بني آدم على الوجه المطلوب إلا إذا رُوعي فيها مبدآن:

الأول: مبدأ الاستخدام الآمن "أن تكون المياه صالحة للغرض المستعملة فيه".

الثاني: مبدأ الاستدامة، وذلك بالمحافظة على موارد المياه وصونها، وباستحداث الجديد فيها (ينظر مقصد حفظ النفس في فقه المياه ، د. إبراهيم البيومي غانم ص٣٤ ، ٣٥).

والمبدأ العام في قضية المياه، هو أن حق الانتفاع من الماء، أوسع من حق ملكيته، وذلك استنادًا إلى ضرورة حفظ النفس باعتباره مقصدًا شرعيًّا عامًّا قطعيًّا.

ونحن نقرأ في كتب الفقهاء أن الماء من حيث إمكانية تملكه له حالتان:

الأولى: أن يكون مملوكًا ملكية عامة في جميع مصادره السطحية "الأنهار والبحار وفروعها"، وأكدوا على أن الملكية العامة للماء هي الأصل، لقول رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ: الْمَاءِ وَالْكَلَإِ

وَالنَّارِ) (مسند أحمد) .

الثانية: أن يكون الماء ملكية خاصة، وذلك بحيازته، ويكون مصدر الحق في التصرف فيه كملكية خاصة، هو ما بذله حائزه فيه من عملٍ وجهدٍ، وما يقتضيه ذلك من نفقات لجلبه، أو استخراجه أو تخزينه أو تنقيته ونقله وتوزيعه وصيانة مستلزماته ، وأدواته (المرجع السابق ص٢٩).

وبكل الأحوال لا يجوز احتكار الماء ، أو المغالاة به ، لما يترتب على ذلك من ضرر عظيم ، وما ينشأ عن ذلك من صراعات ؛ كون الماء ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لبشر أو حيوان أو نبات .

آليات المحافظة على الماء:

وبعد هذا التطواف الذي بينا فيه أن الماء أصل الحياة، وأن القرآن الكريم بين لنا أن الله هو الذي أنزل الماء، وأنه سبب رقي الحضارات، وأنه من أجل النعم، بعد كل هذا نقول: إن توفير الماء وحماية مصادره ورعاية محطات تنقيته أهداف سامية لكل دولة ، وأنَّ الإسراف فيه والعبث بموارده يشكل خطرًا على أمنها وحياة أبنائها ، ومواطنيها ، ومصالحها الحيوية .

ومن ثَمَّ كان ترشيد استهلاك الماء فريضة شرعية وضرورة اجتماعية ؛ إذ القصد والاعتدال من مقاصد الشريعة، وينبغي كذلك امتثال هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) في استعمال الماء، والمحافظة عليه من كل مظاهر التلوث وإفساده ، فقد دعت السنة إلى ذلك كله في عدد من الأحاديث التي

نهت عن الإسراف في الماء ، أو تلويثه .

ومن ذلك الاقتصاد في استعماله ، وتجنب الإسراف في استخدامه واستهلاكه في وجوه الاستخدامات، شربا وطهيا، واغتسالا وغسلا، وزراعة وصناعة وغير ذلك.

وإذا كان الشرع الشريف نهى عن الإسراف في الوضوء والغسل كمقدمات ضرورية للعبادات بوجه عام فإن النهي عن غيره أشد وذلك من باب القياس الأولوي ، أو دلالة النص كما يقول الأصوليون.

وأخيرًا فإنَّ الإسراف من عوامل الخلل في منظومة التوازن البيئي وإهدار مواردها، وصدق الله إذ يقول: {وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ}[الأعراف:٣١] ، فلابد من تغليظ العقوبة على المسرفين في استخدام الماء حتى يرتدعوا ويرتدع غيرهم.

ومن سبل المحافظة على الماء -كذلك- شكر نعمة الله فيه ، فبالشكر تدوم النعم، يقول الله: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ}[إبراهيم: ٧].

وفي الختام نهيب بالمصلحين والعلماء والمسئولين ، كل في حدود نطاقه واختصاصه أن يقوموا بواجبهم المتمثل في توعية الناس وتعريفهم بأهمية الحفاظ على الماء، وتحذيرهم من خطورة الإسراف فيه، أو الجناية عليه ، أو تلويثه ، أو سوء استخدامه.

❊ ❊ ❊

حديث السنة المطهرة عن الماء

اتفق الناس جميعًا على أنَّ الماء هو أغلى موجود، وأعز مفقود، والصبر عنه محدود - بخلاف غيره من النعم- إذ بفقده ونضوبه تحل الأزمات، وتكثر النكبات.

وفي سنة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أحاديث عن الماء تبيّن أنَّه من أعظم النعم، وعليه تقوم الحياة ، وهو أساس الحضارة والرقي.

وقد أولت السنة النبوية المطهرة الماء اهتمامًا بالغًا، واعتنت به عناية فائقة :

أولا: **الناس شركاء في الماء**:

بيَّنت السنة الشريفة أنَّ الماء حقٌّ لجميع الناس يحرم منعه عن أحدٍ أو احتكاره أو حبسه أو إهداره ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (لاَ يُمْنَعُ فَضْلُ المَاءِ لِيُمْنَعَ بِهِ الكَلَأُ) (متفق عليه) ، وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا يُمْنَعُ فَضْلُ الْمَاءِ ، وَلَا يُمْنَعُ نَقْعُ الْبِئْرِ). ومعنى (نقع البئر) أي فضل مائها؛ لأنه ينقطع به العطش أي يروى، يقال شرب حتى نقع أي روي ، والنقع الماء الناقع وهو المجتمع (سنن ابن ماجة).

ثانيا: **سقيا الماء من أفضل الأعمال** :

لَمَّا كان الماء قوام حياة الكائنات ، فقد رغَّبت السنة المطهرة في سقيا الماء ، وإعطائه لطالبه ولو كان حيوانًا أبكم لا يبين ، وبشَّرت مَن يفعل ذلك بالثواب العظيم والأجر الكبير ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ

الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ "، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: " فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ " (متفق عليه)، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ" (متفق عليه) ، وعن سيدنا عثمان (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) – في يوم الدار– قال: "أَنْشُدُكُمْ بِالله وَالإِسْلاَمِ هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلاَءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ؟ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي" (سنن الترمذي).

وفي المقابل توعد رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَنْ يمنع الماء عن خلق الله بالعذاب الأليم، والعقاب العظيم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (ثَلاَثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ

مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ: الْيَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ) (صحيح البخاري).

ثالثا: **تكثير الماء من علامات النبوة**:

لأهمية الماء وقيمته، وارتباط الناس به جعله الله (عز وجل) آية من الآيات التي أيد بها نبيه (صلى الله عليه وسلم) ، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ (رضي الله عنه) قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا، كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فِي سَفَرٍ فَعَزَّ الْمَاءُ، فَقَالَ: "اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ" قَالَ: فَأُتِيَ بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ قَالَ: "حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ الله" قَالَ: فَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ تَحْتِ أَصَابِعِ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ) حَتَّى ارْتَوَيْنَا، وَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ "(صحيح البخاري).

رابعا: **الماء وضرب الأمثال**:

يُضرب المثل لتقريب ما يُضرب له بصورة حية لمشهدٍ واقعي أو متخيل، ولمَّا كان الماء في أذهان الناس جميعًا لا يغيب عنهم، ضرب النبي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) به وبآثاره مثلًا ليقرِّب للناس حقيقة ما جاء به من الإيمان والهدى والعلم، فما جاء به (صلى الله عليه وسلم) من الوحي الشريف كالماء الذي به حياة بني البشر ، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري، عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : " مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ،

كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلَأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " (متفق عليه).

خامسًا: **الماء من صور النعيم في الآخرة**:

بيَّن القرآن الكريم أنَّ الماء من أعظم أنواع النعيم في الجنة، كما في قوله تعالى: {مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ} [محمد:١٥] وهو- كذلك – من ألوان العذاب في النار، كما في قوله تعالى: {وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا}[الكهف:٢٩]، وقوله: {وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ}[محمد : ١٥].

وجاءت السنة لتؤكد بيان الله (عز وجل) ، وتبشر عباده الصالحين بالشرب من حوض النبي(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وبيده الشريفة في الآخرة، عن سَهْل بْن سَعْدٍ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: " أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، فَمَنْ وَرَدَهُ شَرِبَ مِنْهُ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهُ أَبَدًا، لَيَرِدُ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ "(متفق عليه).

سادسًا: المحافظة على الماء هديٌ نبويٌ كريمٌ:

ولَمَّا كان الماء بهذه المكانة العالية ، والمنزلة السَّامية في حياة الإنسان ، جاءت السُّنة النبوية الغرَّاء لتعلم الناس كيفية التعامل معه، والمحافظة عليه، وتحثُّ على الاقتصاد في استعماله ، وتحذِّر من الإسراف في استخدامه، ومن ذلك:

النهي عن الإسراف في استعمال الماء حتى أثناء الوضوء والاغتسال، ولو كان المتوضئ والمغتسل على شاطئ نهرٍ أو بحرٍ؛ فإنَّ ذلك الإسراف علامةٌ على إهدار النعمة وعدم شكرها، ففي الصَّحيحيْن عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: " كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَغْسِلُ ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ"(متفق عليه).

والصاع : أربعة أمداد ، والمد : ملء كفي الرجل المعتدل ، ومقدار ذلك ما يقرب من ٦٥٠ جرامًا للمد .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: كَمْ يَكْفِينِي مِنَ الوُضُوءِ؟ قَالَ: مُدٌّ. قَالَ: كَمْ يَكْفِينِي لِلغُسْلِ؟ قَالَ: صَاعٌ، قَالَ: فَقَالَ الرَّجُلُ: لَا يَكْفِينِي. قَالَ: لَا أُمَّ لَكَ، قَدْ كَفَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ، رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (مسند أحمد). قال الحافظ ابن حجر – رحمه الله – معلِّقًا على هذا الأثر: " وفيه كراهية التنطع والإسراف في الماء ".

كما شددت السنة النكير على مَن يسعى إلى تلويث المـــاء بأية وسـيلة كانت،

حتى يبقى الماء نقيًّا نظيفًا طهورًا صالحًا للاستعمال دون ضـررٍ أو أذى، ومن ثَمَّ نهى (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن قضاء الحاجة من بولٍ أو غائطٍ في الماء الساكن الذي لا يجري، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " لاَ يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لاَ يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ" (متفق عليه).

ومن صور حث السنة المطهرة على المحافظة على الماء – كذلك– النهي عن التنفس في الإناء أو النفخ فيه، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ " (صحيح البخاري).

ومن ذلك – أيضًا – نهيه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَنْ استيقظ من نومه أن يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثًا، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لاَ يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدُهُ" (متفق عليه) والعلة في ذلك – والله أعلم – أنَّه لعله مس سوأته، أو حك شيئا متقرحا من جسده فيتلوث الماء.

ومن ذلك – أيضًا – أمره (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بتغطية الأواني وربط الأسقية حتى لا يصل إليها غبار أو هوام ، فعَنْ جَابِرٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " أَطْفِئُوا المَصَابِيحَ إِذَا رَقَدْتُمْ،

وَغَلِّقُوا الأَبْوَابَ، وَأَوْكُوا الأَسْقِيَةَ، وَخَمِّرُوا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ - وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَلَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُهُ عَلَيْهِ" (صحيح البخاري) .

سابعًا: هدي النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عند فقد الماء:

بيَّن القرآن الكريم أنَّ الماء الذي سلكه الله ينابيع في الأرض من الله وحده ، ولا يقدر عليه غيره ، فهو الملك الذي بيده كل شيءٍ لا سيما قطرة الماء التي بها حياة الأحياء ، قال تعالى: { قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ }[الملك :٣٠].

ولَمَّا كان الأمر كذلك، وكان الماء عصب الحياة، وقوام المعاش، علَّم النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أمته أن يتوجَّهوا إلى الله إذا قحطت السماء، وأجدبت الأرض، وتوقفت المصالح، وجفَّت المنابع، وقلَّت الموارد، فشرع لهم صلاة الاستسقاء، ومعناها: طلب سُقْيا الماء من الله (عز وجل) ، كما شرع لهم التضرع إلى الله (عز وجل) ، ففي الصَّحيحين عن أنس بن مالكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ مِنْ بَابٍ كَانَ نَحْوَ دَارِ الْقَضَاءِ ، وَرَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَائِمًا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُغِيثُنَا، فَرَفَعَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا" قَالَ أَنَسٌ: وَلاَ وَالله، مَا نَرَى فِي السَّمَاءِ مِنْ سَحَابٍ، وَلاَ قَزَعَةً وَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ سَلْعٍ مِنْ بَيْتٍ وَلاَ

دَارٍ، قَالَ: فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَائِهِ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ فَلَمَّا تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَلاَ وَاللهِ، مَا رَأَيْنَا الشَّمْسَ سِتًّا، ثُمَّ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ ذَلِكَ البَابِ فِي الجُمُعَةِ، وَرَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَائِمٌ يَخْطُبُ، فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ الله يُمْسِكْهَا عَنَّا، قَالَ: فَرَفَعَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَامِ وَالظِّرَابِ، وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ" (متفق عليه).

❊ ❊ ❊

الضوابط الشرعية لاستخدام الماء في الأمور التعبدية

خلق الله الماء وجعله أصلًا لحياة كل حي، فقال تعالى: { وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ }[الأنبياء:٣٠]، فهو قِوام الحياة وأساسها، وبدونه تتعذر الحياة على كل المخلوقات ؛ لذا أولى الشرع الشريف اهتمامًا بالغًا بالماء، وحث الناس على ضرورة المحافظة عليه، وعدم الإسراف في استخدامه، وعدم تلويثه وإفساده بأي صورة من الصور؛ لأن من مقاصد الشرع الشريف: حفظ النفس، وبتلويث الماء وبالإسراف في استخدامه قد يفوت هذا المقصد العظيم.

الماء وسيلة للتطهير:

يرتبط الماء ببعض العبادات في الشريعة الإسلامية ارتباطًا وثيقًا ؛ حيث إن الشرع الشريف جعل الطهارة شرطًا لبعض العبادات ، ومن أهم العبادات التي ارتبطت بالطهارة في الشرع الشريف الصلاة ، التي هي أساس الدين وعماده ، وجُعلت الطهارة مفتاحًا للصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم: (مِفْتَاحُ الصَّلَاةِ الطُّهُورُ، وَتَحْرِيمُهَا التَّكْبِيرُ، وَتَحْلِيلُهَا التَّسْلِيمُ) (سنن أبي داود والترمذي وغيرهما)، والآلة الأساسية المستخدمة في التطهير هي الماء؛ لأنه مطهر بأصل خلقته.

فالأصل في الماء أنه طاهر في نفسه، ومطهر لغيره، قال تعالى:{وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم}[الأنفال:١١]، وقال تعالى:{ وَأَنزَلْنَا

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا }[الفرقان:٤٨]، أي: وأنزلنا من السماء ماء طاهرًا في ذاته، مطهرًا لغيره، سائغًا في شربه، نافعًا للإنسان والحيوان والنبات والطير وغير ذلك من المخلوقات ، ووصف ـ سبحانه ـ الماء بالطهور زيادة في الإشعار بالنعمة، وزيادة في إتمام المنة، فإن الماء الطهور أهنأ وأنفع مما ليس كذلك (التفسير الوسيط:١٠/ ٢٠٦) .

تعريف الطهارة، وأنواعها :

الطهارة لغة : النظافة. وشرعًا : النظافة من النجاسة حقيقية كانت وهي الخبث، أو حكمية وهي الحدث (اللباب شرح الكتاب:١/ ٥)

وقد ورد الأمر المباشر في القرآن الكريم بوجوب الطهارة، فقال تعالى: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ }[المائدة:٦]، في هذه الآية أمر بوجوب الوضوء من الحدث الأصغر عند إرادة الصلاة، وكذلك وجوب الغسل من الحدث الأكبر ، واخُتصَّ الوضوء بأربعة أعضاء فقط وجوبًا ، الوجه ، واليدين ، والرأس، والرجلين، أما الغسل فاختص بغسل جميع البدن.

والتعبير بقوله تعالى:{فَاطَّهَّرُوا} فيه إشارة إلى وجوب العناية في تعميم الماء على الجسد كله، وإيماء إلى أن النجاسة المعنوية قد عمت كل أجزاء الجسم، فوجب أن تكون الطهارة عامة لكل أجزاء الجسم ، ولا شك

أن الاغتسال بعد الجنابة أو الحيض أو النفاس فيه إنعاش الجسم بعد أن أصابه التعب والإنهاك، وفيه كذلك طهارة نفسية ؛ لأنه يبعث في الإنسان حسن الاستعداد لذكر الله (عز وجل) ، ولأداء تكاليفه. (التفسير الوسيط:٤ / ٦٥).

أنواع الطهارة:

الطهارة في الأصل نوعان: طهارة من الحدث، وتسمى طهارة حكميـة ، وطهارة من الخبث، وتسمى طهارة حقيقية.

أما الطهارة عن الحدث، فهي الطهارة من النجاسة حكمًا، وهي ثلاثة أنواع: الوضوء، والغسل، والتيمم ، والآلة المستخدمة في الوضوء والغسل هي الماء ، وفي التيمم التراب ، وغيره ، وتُسمى هذه الطهارة : طهارة تعبد.

وأما الطهارة الحقيقية فهي الطهارة من النجاسة الحقيقة، وهي ثلاثة أنواع: طهارة البدن، وطهارة المكان، وطهارة الثياب ، وتسمى هذه الطهارة: طهارة من النجاسة، والآلة المستخدمة فيها هي الماء غالبًا. (تحفة الفقهاء: ١ / ٧).

وتأتى أهمية الماء من حيث إن كلا من الوضوء والغسل عبادة في الدين لا تكون إلا بالماء ، وهما وسيلتان لمقصد أعلى وعبادة أعظم ، وهي الوقوف بين يدى الله في الصلاة ، وتتعلق الصلاة بثلاثة أشياء: بطهارة جسد الإنسان، والثوب الذي يصلى فيه ، والمكان الذي يصلي عليه، ولا بد من تحقق هذه الثلاثة مجتمعة حتى تصح الصلاة.

ولا شك أن القيام بين يدي الله(تعالى) ببدن طاهر وثوب طاهر على مكان طاهر يكون أبلغ في التعظيم من القيام ببدن نجس وثوب نجس وعلى مكان نجس، وقد أُمر المسلم بغسل الأعضاء الظاهرة من الحدث والجنابة تذكيرًا لتطهير الباطن من الغش والحسد والكبر وسوء الظن بالمسلمين ونحو ذلك من أسباب المآثم.(بدائع الصنائع:١/ ١١٤،١١٥)

فللطهارة أهمية كبرى في الإسلام، سواء أكانت حقيقية وهي طهارة الثوب والبدن والمكان ، أم طهارة حكمية وهي طهارة أعضاء الوضوء من الحدث، وطهارة جميع الأعضاء الظاهرة من الجنابة؛ لأنها شرط دائم لصحة الصلاة التي تتكرر خمس مرات يوميًا، وبما أن الصلاة وقوف بين يدي الله تعالى ، فأداؤها بالطهارة تعظيم لله (عز وجل) ، والحدث والجنابة وإن لم يكونا نجاسة مرئية، فهما نجاسة معنوية ، ووجودها يخل بالتعظيم، وينافي مبدأ النظافة التي تتحقق بالغسل المتكرر، فبالطهارة تطهر الروح والجسد معًا.

وعناية الإسلام بجعل المسلم دائمًا طاهرًا من الناحيتين المادية والمعنوية أكمل وأوفى دليل على الحرص الشديد على النقاء والصفاء، وعلى أن الإسلام مثلٌ أعلى للزينة والنظافة، والحفاظ على الصحة الخاصة والعامة، ولصون البيئة والمجتمع من انتشار المرض؛ لأن غسل الأعضاء الظاهرة المتعرضة للغبار والأتربة والنّفايات والجراثيم يوميًّا، وغسل الجسم في

أحيان متكررة عقب كل جنابة كفيل بحماية الإنسان من أي تلوث، وقد ثبت طبيًا أن أنجع علاج وقائي للأمراض الوبائية وغيرها هو النظافة، والوقاية خير من العلاج، وقد امتدح الله تعالى المتطهرين، فقال تعالى:{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة:٢٢٢]، وأثنى سبحانه على أهل مسجد قُباء بقوله تعالى:{ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ }[التوبة:١٠٨]، وعلى المسلم أن يكون بين الناس مثالًا بارزًا في نظافته ، وطهارة الظاهر والباطن .

وبناءً على هذا فالطهارة الشرعية تشمل الطهارة الحسية كالطهارة من الشيء النجس كالبول وغيره ، وتشمل الطهارة المعنوية كالطهارة من الذنوب والعيوب ، والماء أصل في تحقيق كلا الطهارتين ، حيث يستخدم الإنسان الماء في تطهير جسده وثوبه والمكان الذي يصلي فيه .

كذلك فإن الماء وسيلة للإنسان لتطهير نفسه من الذنوب والسيئات ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ـ أَوِ الْمُؤْمِنُ ـ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ـ فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ – فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ ـ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ – حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ) (صحيح مسلم)، وفي رواية : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ

الْمُؤْمِنُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجْتِ الْخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الْخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّى تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ) (سنن النسائي).

وقال (صلى الله عليه وسلم) أيضًا : (أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟). قالوا بلى يا رسول الله قال : (إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ) (صحيح مسلم).

فهذه الأحاديث وغيرها تدل على فضل الوضوء وأهميته وكونه سببًا في الطهارة من الذنوب والسيئات ، فوجب على المسلم أن يأتي به على الوجه المشروع الخالي من الإسراف والتبذير؛ حتى يتحقق له الثواب الكامل والطهارة المرجوة .

على أن الوضوء والغسل لا تقتصر فائدتهما فقط على الجانب الحسي الملموس والتطهر الخارجي فقط بل هو يشمل تطهير الروح من الخبث والدونية والسمو بالروح إلى تزكيتها والشعور بحاله من الطمأنينة والسكينة وكأنك تتهيأ للدخول في الحضرة الإلهية، فالوضوء والغسل ليس مجرد ماء

يُسكب على الأعضاء لتطهيرها من حيث الظاهر فقط، ولكنه تطهير أعمّ وأشمل من مفهومه الخارجي فهو يغسلك ويطهرك من الداخل وكأنك تمسح من داخلك غبار المعاصي والأمراض التي تعلقت بالقلب؛ وبهذا يستشعر الإنسان حالة من السلام النفسي الذي يجعله مستعدًا للقاء الله (عزّ وجلّ).

ونرى كثيرًا منا عندما يشعر بتوتر أو غضب ينصحه من حوله بغسل وجه حتى يهدأ، وبالفعل عند غسله وجهه يشعر بحاله من الهدوء وكأن الماء يُطفئ هذا الغضب والتوتر ويسدل على الإنسان حالة من الراحة والطمأنينة؛ فيحدث له السلام النفسي .

وإذا كان للماء دورٌ كبيرٌ في الطهارة الحسية والمعنوية، فإنّ له دورًا كبيرًا في الحفاظ على الجانب النفسي وعلى الجهاز العصبي، وأثبتت الدراسات الطبية الحديثة أن الماء والوضوء عند الغضب يهدئ الجهاز العصبي، وهذا ما أكده رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين قال: (إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ) (مسند أحمد).

❊ ❊ ❊

المحافظة على الماء وعدم الإسراف فيه

لما كان الماء وسيلة لتحقيق الطهارة الحسية والمعنوية، إضافة إلى كونه أصل الحياة لكل كائن حي حثّ الشرع الشريف على المحافظة عليه وعدم الاسراف في استخدامه، فقال تعالى:{ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ } [الأعراف: ٣١] ، وإذا كان الشرع الشريف قد نهي عن الإسراف في الماء في الأكل والشرب، فمن باب أولى عدم الإسراف في استخدامه حتى ولو كان في عبادة كالوضوء والغسل، والإسراف هو تجاوز الحد في كل شيء.

ومعنى الإسراف في استخدام الماء في الوضوء أو الغسل هو أن يزيد المسلم على قدر الحاجة أثناء وضوئه وغسله، وقد وضح النبي (صلى الله عليه وسلم) هذا الأمر ، وشدد في التحذير من الإسراف في الماء ، ومن ذلك أن أعرابيًّا جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) يسأله عن الوضوء؟. فأراه الوضوء ثلاثًا، ثلاثًا ثم قال: (هَكَذَا الْوُضُوءُ، فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا فَقَدْ أَسَاءَ وَتَعَدَّى وَظَلَمَ).(سنن النسائي وابن ماجه).

وفي هذا الحديث دلالة على أن الزيادة في الغسل عن الثلاث اعتداء ، وفاعله مسيئ بتركه المطلوب، ومتعدّ حدّ السنة، وظالم بوضع الشيء في غير موضعه.

وإذا كان هذا حال مَنْ يسيئ استخدام الماء في أمور العبادة ، فكيف بمن يسرف في الماء ويستخدمه استخدامًا سيئًا في غير العبادة مثل البذخ

والإسراف الشديد في استعمال الماء في رش الشوارع، وغسل السيارات وغير ذلك مما يأباه الشرع الشريف.

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما)، قال: دعا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بماء فتوضأ به مرة مرة، ثم قال: (هَذَا وَظِيفَةُ الوُضُوءِ الَّذِي لاَ يَقْبَلُ اللهُ صَلاَةً إِلاَّ بِهِ)، ثم دعا بماء فتوضأ مرتين مرتين ، ثم قال: (هَذَا وُضُوءٌ ، مَنْ تَوَضَّأَ بِهِ كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ)، ثم مكث ساعة ثم دعا بماء فتوضأ ثلاثًا ثلاثًا ، ثم قال: (هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ النَّبِيِّينَ قَبْلِي) (سنن الدارقطني).

ومعنى هذا الحديث أن النبى (صلى الله عليه وسلم) توضأ وغسل كل عضو مرة واحدة، ثم توضأ وغسل كل عضو مرتين، ثم توضأ وغسل كل عضو ثلاث مرات.

وقيل: الأُولى : فرض ، والثانية : سنة ، والثالثة : إكمال السنة. (البناية : ١/ ٢٣٣) ، فمن زاد على ذلك فقد أسرف وتعدى .

وبناءً على هذا ذهب الفقهاء إلى أن تكرار غسل الأعضاء المغسولة ثلاثًا مسنون، وأن غسل هذه الأعضاء ثلاث مرات ليس من الإسراف في الماء، أما الزيادة على الثلاث المستوعبة للعضو فهو مكروه كراهة تحريمية أو حرام لكونه إسرافًا، ومعيار الإسراف في الماء هو استعمال الماء فوق الحاجة الشرعية، والنهي في ذلك محمول على ما إذا كان يعتقد أن الزيادة على الغسل ثلاثًا من السنة. (حاشية ابن عابدين:١ / ١٣٢، مواهب الجليل:١/ ٣١٦).

فعلى المسلم أن يقتصد في وضوئه وغسله، وألا يزيد على القدر المطلوب فيهما؛ لأن الزيادة في استخدام الماء فيهما لا تعني زيادة الثواب والأجر، وإنما يقابلها الإساءة في استخدام الماء، والوقوع في الكراهة ونقصان الأجر ، ومن ابتغى الثواب العظيم والأجر الجزيل من وضوئه وغسله فحريٌ به عدم الإسراف في الماء، والاكتفاء بما يكون به الوضوء والغسل من غير إسراف.

وجدير بالذكر أن الفقهاء قرروا أن الإسراف في الماء أثناء الوضوء أو الغسل مقيدٌ بما إذا كان الماء مملوكًا للشخص أو مباحًا له ولغيره كماء النهر، أما إذا كان الماء موقوفًا على الطهارة كماء المسجد الذي يكون قاصرًا على الوضوء والغسل فإن الإسراف فيه والزيادة في استخدامه عن قدر الحاجة تكون حرامًا وليست مكروهة؛ لأن هذه الزيادة غير مأذون بها؛ لأنه إنما يوقف ويساق لمن يتوضأ الوضوء الشرعي ولم يقصد إباحته لغير ذلك.(حاشية ابن عابدين:١٣٣).

وهذا ملحظٌ دقيقٌ ينبغي التنبه له، حيث إن الإنسان يكون له حرية التصرف فيما يملك ، مع مراعاة الضوابط الشرعية الخاصة بتصرفه ، والتصرف في ملكه دون مراعاة الضوابط الشرعية يوقعه في الكراهة ، وقد يوقعه في الحرام في بعض الأحيان، أما التصرف في غير ملكه مع عدم مراعاة الضوابط الشرعية الخاصة به فإن ذلك يوقعه في الحرام لا محالة، وذلك مثل الإسراف في استعمال ماء المساجد، وغيرها من المؤسسات الحكومية،

والشركات، والمصانع المملوكة لغيره، وغير ذلك فكلُّ هذه الأشياء ليست ملكًا شخصيًّا، وإنما هي ملك عام؛ لذا يختلف حكمها عن حكم الملك الخاص، فمن أسرف في مائه المملوك له ؛ فهذا الإسراف مكروه ،أما السرف في ماء الغير وما كان موقوفًا كماء المساجد فهو حرام؛ لأن فيه إيذاءً للغير، وإيقاع الضرر به، والمسلم مطالب بعدم الإضرار بأحد.

ومن الفقهاء من ذهب إلى أن الزيادة في استخدام الماء على الحد المطلوب شرعًا في الأعضاء أو الغسلات غُلو وبدعة مكروهة (مواهب الجليل:٣١٦) ، والغلو هو الزيادة على ما يُطلب شرعًا ، والبدعة هنا: هي الأمر المحدث في الدين المخالف له.

وقد أجاد الفقهاء في بيان فضل الماء وأهميته للناس، وتحذير الناس من الإسراف فيه حتى في العبادة ؛ لأنهم كانوا يقدرون نعمة الماء ويرون فيها الخير الكثير لكل الخلق، وأن الخلق بدون الماء لا يستطيعون العيش في هذه الحياة.

والنهي عن الإسراف في استخدام الماء إنما هو لذات الإسراف، وليس الأمر مرتبطًا بكثرة الماء أو قلته، فكما لا يجوز الإسراف في الماء لو كان قليلًا كذلك لا يجوز لو كان كثيرًا .

ومما يدل على كراهة الإسراف في الماء حتى ولو كان الماء كثيرًا، ما روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مرّ بسعد، وهو يتوضأ، فقال: (مَا هَذَا السَّرَفُ يَا

سَعْدُ؟). قال: أَفِي الوضوء سرف، قال: (نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ). (مسند أحمد).

واتفق الفقهاء على أن ما يُجزئ في الوضوء والغسل غير مقدر بمقدار معين ، وما ورد في الحديث من أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يتوضأ بالمد ويغتسل بالصاع.(صحيح مسلم) (والمدُّ: يقدر بملء كفي الإنسان المعتدل. والصاع: أربعة أمداد ويقدر بحوالي ٢٦٠٠جم) ليس بتقدير لازم، بل هو بيان أدنى القدر المسنون، حتى إن مَنْ أسبغ بدون ذلك أجزأه، وإن لم يكفه زاد عليه دون إسراف؛ لأن طباع الناس وأحوالهم مختلفة.(حاشية ابن عابدين:١/ ١٥٩، بدائع الصنائع:١/ ٣٥).

فالأمر متروك للشخص ذاته فيما يكفيه في طهارته؛ لأن الناس يختلفون في هذا الأمر بين مقلٍّ ومكثر، لكن العبرة في الكل هي إسباغ الوضوء مع عدم الإسراف في الماء، وإنما يأخذ المسلم من الماء في طهارته ما يكفيه دون إسراف أو تبذير.

وقال (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطَّهُورِ وَالدُّعَاءِ) (سنن أبي داود) ، والتعدي في الطهور: هو أن يغسل الأعضاء أكثر من ثلاث مرات، أو يسرف في إراقة الماء في الاستنجاء والوضوء والغسل، والتعدي في الدعاء هو أن يسأل الإنسان شيئًا ليس له إليه حاجة. (المفاتيح شرح المصابيح:١/ ٤٠٤).

والمحافظة على الماء وعدم الإسراف فيه من باب شكر الله على نعمه، والإسراف فيه وهدره من باب كفران النعم وجحودها، قال تعالى: {وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ} [سورة إبراهيم:٧]، لذا وجب علينا ترشيد استخدام الماء وعدم الإسراف فيه حتى لا نكون ممن يسيئ استخدام نعم الله تعالى، وحتى لا يؤدي ذلك إلى استنزاف هذه النعمة الكبرى التي يتمناها كثير من الناس في بلاد مختلفة ؛ فيكون جزاؤنا الحرمان منها.

وإن الناظر في حال الناس الآن يجد الكثير منهم يسرفون في الماء دون مبرر، حتى في الوضوء والغسل، وكمية الماء المهدرة فيهما كثيرة جدًا، فقد تجد الشخص يستخدم ماءً كثيرًا في وضوئه مع أن لترًا واحدًا أو أقل ربّما يكفيه في هذه العبادة ، لذا وجب ترشيد استخدام الماء في ذلك بفتح صنبور الماء قليلًا أثناء الوضوء أو عند غسل أعضاء الجسد، وعدم تركه مفتوحًا دون استخدام للماء ، طوال عملية الوضوء أو الغسل .

❊ ❊ ❊

النهي عن تلويث الماء وإفساده

حرّم الله (عز وجل) الفساد والإفساد في الأرض ، فقال تعالى: {كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ}[البقرة:٦٠]، وتلويث الماء نوع من الإفساد ، وقال تعالى: {وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ}[القصص:٧٧]، وهذا تحذير من الله لعباده بعدم الفساد في الأرض حتى لا تتحول النعم التي بين أيديهم إلى نقم فيصبحوا على ما فعلوا نادمين ، وكذلك تحذير لهم من البطر والغرور واستعمال النعمة في غير ما وضعت له. (التفسير الوسيط :١٤٤،١٤٥)

ولما كان الماء مصدر الحياة ومن أجلّ نعم الله على عباده؛ فإن تلويثه من أشد أنواع الفساد والإفساد في الأرض؛ لما في ذلك من المخاطر والأمراض والأضرار الكبيرة التي تعود على خلق الله من إنسان، وحيوان، ونبات، وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ) (مسند أحمد، وسنن ابن ماجه) ، فكل ما فيه ضرر للغير منهيٌّ عنه بنص الحديث الشريف ، فتلويث الماء وإفساده من أخطر الأشياء على الناس في مأكلهم ومشربهم ، ومن ثمَّ ينعكس ذلك على صحتهم بالضرر والأمراض ، فالماء نعمة يجب أن نقدرها حق قدرها ، ولا نكدرها بما يلوثها ؛ لذا وجب الحذر من تلويثه وتنجيسه ، وقد حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من فعل هذا

الأمر وبيّن أنه من أسباب جلب اللعن على من يفعل ذلك ، فقال: (اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظِّلِّ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ) (سنن أبي داود).

معنى الحديث :

(اتقوا) احذروا واجتنبوا قضاء الحاجة في هذه المواضع؛ لأنها مواضع اللعنة ، و(الملاعن) جمع ملعنة، وهي الموضع الذي يكثر فيه اللعن، وهي مجالب اللعن؛ لأن أصحابها يلعنهم المار لفعلهم القبيح، أو لأنهم أفسدوا على الناس منفعتهم فكان ظلمًا، وكل ظالم ملعون ، واللعن: هو الطرد من رحمة الله (عزّ وجلّ) ، و(الموارد): جمع مورد ، وهو الموضع الذي يأتيه الناس من رأس عين أو نهر؛ لشرب الماء والوضوء ، (وقارعة الطريق) : الطريق الواسع الذي يقرعه الناس بأرجلهم؛ أي: يدقونه ، ويمرون عليه، و(الظل) أي: في ظل الشجر وغيره من مقيل الناس ومناخهم ، قال ابن حجر: والظل في الصيف ومثله الشمس في الشتاء ، أي: في موضع يستدفئ فيه الناس بها، ثم لا يخفى أن عدم تقييد الظل بالصيف أولى. (المفاتيح شرح المصابيح : ١/ ٣٨٣ ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح :١/ ٣٨٥).

وقال (صلى الله عليه وسلم): (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ).(متفق عليه) ، فلا يجوز أن يتبول الإنسان في الماء الراكد الذي لا يجري كمياه الخزانات، ونحوها، كما لا يجوز له التبول في هذا الماء ثم يغتسل منه؛ لما يترتب على ذلك من أمراض خطيرة تلحق بالإنسان إذا فعل هذا الأمر.

كذلك حذر النبي (صلى الله عليه وسلم) من تلويث الماء الجارى بالتبول فيه، فعن جابر بن عبد الله (رضى الله عنهما) قال: (نَهَى رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الْجَارِي) (الطبراني في الأوسط) ، ونهى النبي (صلى الله عليه وسلم) عن فعل هذا الأمر في الماء الراكد أو الجاري حفاظًا على الماء وحتى لا تتلوث هذه النعمة الكبرى ؛ ولئلا يتضرر الخلق باستعمال هذا الماء الملوث.

ويقاس على تلويث الماء وإفساده بذلك إفساده وتلويثه بأي شيء آخر ، كإلقاء ماء الصرف الصحى فيه ، ومخلفات المصانع والبواخر، وغير ذلك ، مما يؤثر على طبيعة الماء ويلوثه أو ينجسه، ونؤكد على حرمة ذلك ؛ لما فيه من الضرر العام الذي يلحق البلاد والعباد ، ويكون سببًا في تفشي الأمراض والأوبئة الفتاكة ، وكل هذه الأمور من الإفساد في الأرض.

❊ ❊ ❊

الماء أصل الحياة والأحياء

الماء هو أصل الحياة والأحياء ، فقد نشأت الحياة منذ بدء الخلق وستبقى إلى قيام الساعة مرتبطة بوجود الماء ، بل إن الإنسان لا يستطيع الاستقرار في أي مكان على وجه الأرض إلا بوجود الماء، قال الحق سبحانه:{ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ }[النور: ٤٥] ، وقال تعالى: { وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ أَفَلَا يُؤۡمِنُونَ }[الأنبياء:٣٠] ، بل إن بعض الحضارات القديمة كانت تنسب إلى مواقعها الجغرافية المرتبطة بالماء ، فيقال مثلًا: حضارة ما بين النهرين وحضارة وادي النيل ، وما بدأت الحياة في مكة المكرمة إلا أن بعد أن تفجر بئر زمزم استجابة لدعوة أبي الأنبياء إبراهيم (عليه السلام): {رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ}[إبراهيم: ٣٧] .

فالماء أساس وجود الحياة ، وسبب استمرارها ، والذي يُفهم من كلام النبي (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أن خلق الماء كان قبل خلق السموات والأرض، حيث قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ) (رواه البخاري) ، وقد أثبت العلم الحديث استحالة الحياة على وجه الأرض دون الماء لارتباط الأنشطة البشرية المختلفة به ؛ ولأنه المكون الرئيس في تركيب الخلية الحية ، حيث يدخل في تكوين جميع خلايا

الكائنات الحية بمختلف صورها وأشكالها وأحجامها .

ولا يخفى على عاقل أن الماء نعمة من أجل نعم الله التي ينبغي الحفاظ عليها ، حتى لا يعاقب من لم يقدر قدرها بزوالها ؛ حيث يقول الحق سبحانه في كتابه الكريم: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ }[الأنفال:٥٣] ، ولقد تحدثت بعض وسائل الإعلام في الفترة الأخيرة عن بعض المدن التي تعاني الآن من انعدام المياه أو شبه انعدامها، حتى أن حكومات هذه البلاد قد لجأت إلى توزيع حصص محددة من المياه على المواطنين .

إن أغلب المشاكل المتعلقة بالماء ، ناتجة عن التلوث والإسراف وسوء الاستخدام ، ولقد عالج الإسلام كل هذه القضايا بما قرره من آداب وقواعد وأحكام للمحافظة على الماء ، وترشيد استهلاكه ، ومن هذه الآداب :

الاقتصاد في استخدام الماء :

لقد أمر الإسلام بالقصد والاعتدال في جميع الأمور ، ونهى عن الإسراف والتبذير بجميع أشكاله وصوره ، قال تعالى: {يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ }[الأعراف: ٣١]، ولو لم يكن للمسرفين عقوبة غير أن الله عز وجل) لا يحبهم لكفى ، فالمسلم مأمور بالاقتصاد في كل شيء، ومنهي عن الإسراف في كل شيء.

إن الاقتصاد في استخدام الماء سنة من السنن النبوية التي حثنا عليها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله ، وطبقها بفعله ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) أول من دعا الناس إلى عدم الإسراف في الماء ، حيث قال (صلى الله عليه وسلم) : (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ) (رواه البخاري).

بل إنه (صلى اللهّ عليه وسلم) نهى عن الإسراف في استخدام الماء، وإن كان ذلك في الأمور التعبدية كالوضوء أو الاغتسال ، أو غيرهما ، فعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ ، فَقَالَ : (مَا هَذَا السَّرَفُ يَا سَعْدُ) ، قَالَ: وَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: (نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ) (رواه أحمد).

ولقد طبق الرسول (صلى اللهّ عليه وسلم) على نفسه ما نهى عنه من الإسراف في استخدام الماء ، فكان (صلى اللهّ عليه وسلم) الأسوة والقدوة في ترشيد استخدام الماء ، والمحافظة عليه من الضياع دون فائدة، فعن أنس (رضي اللهّ عنه) : (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ) (رواه مسلم) ، فإذا كان مدًّا واحدًا من الماء هو ما يلزم للوضوء كما كان يفعل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فإننا ندرك يقينًا أن كميات كبيرة من الماء تضيع هدرًا دون أن يستفاد منها ، وذلك أن المد يساوي ما يقرب من(٠,٦٨٨) لترًا .

بل لقد صح عنه (صلى الله عليه وسلم) أنه كان يتوضأ بأقل من ذلك في بعض الأحيان ، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ زَيْدٍ (رضي الله عنهما) ، أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) (أُتِيَ بِثُلُثَيْ مُدٍّ مِنْ مَاءٍ فَتَوَضَّأَ فَجَعَلَ يَدْلُكُ ذِرَاعَيْهِ) (رواه الحاكم).

وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) (أَنَّهَا كَانَتْ تَغْتَسِلُ هِيَ وَرَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ) (رواه أحمد) ، وقد ورد أنها (رضي الله عنها) قَالَتْ : (كُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَالنَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ، مِنْ قَدَحٍ يُقَالُ لَهُ الفَرَقُ) (رواه البخاري).

والفرق : ثلاثة آصُع، والصاع يساوي أربع أمداد ، وهو ما يقرب من (٢,٧٥) لترًا من الماء ، وعليه فالفرق يساوي ما يقرب من (٨,٢٥) لترًا من الماء ، مع ملاحظة أنها قالت: من قدح يقال له الفرق، ولم تقل بقدح، مما يفيد عدم استغراق ماء هذا القدح .

ولا يتعارض هذا مع ما ورد أنه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كان يغتسل بمفرده بالصاع كما جاء في الصحيح عن أَنَسٍ (رضي الله عنه) ، أنه قال : (كَانَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَغْسِلُ، أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ) (رواه البخاري) ؛ لأنه من الوارد أن لا يكون (الفرق) ممتلئًا لآخره حين يغتسل منه (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وزوجه ، بل ربما يكون ما فيه من الماء صاعين ، فيكون لكل منهما صاع ، وهذا ما يتفق مع الروايات الأخرى ، كما أن النص لا يفيد استغراق ماء هذا القدح كما أسلفنا .

غير أن الذي ينبغي أن نقف معه ، ونتعلم منه هو اعتداله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ) في استخدام هذه النعمة ، وحسن تصرفه في الحفاظ عليها حتى وإن كان ذلك في الأمور التعبدية .

ومما يدل ـ أيضًا ـ على اقتصاده (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وحفاظه على نعمة الماء ، وترشيد استهلاكها ، ما ورد أنه كان (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يتوضأ هو وأصحابه من إناء واحد ، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) أَنَّهُ أَبْصَرَ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَصْحَابَهُ يَتَطَهَّرُونَ ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ مِنْ إِنَاءٍ وَاحِدٍ كُلُّهُمْ يَتَطَهَّرُ مِنْهُ) (صحيح ابن حبان) .

❊ ❊ ❊

الإسراف في استخدام الماء من التعدي على حقوق الآخرين

سبق أن أصلنا أن الإسلام قد نهى عن الإسراف والتبذير بجميع أشكاله وصوره ، ونظرًا للأهمية القصوى للماء فقد جعله الله – عز وجل – حقًا شائعًا بين البشر جميعًا ، وجعل حق الانتفاع به مكفولًا للجميع ، فلا يجوز لأحد أن يحتكر مصادر الماء أو يمنع منها أحد ، قال (صلى الله عليه وسلم) : (النَّاسُ شُرَكَاءُ فِي الْمَاءِ وَالْكَلَأِ) (الأموال لابن زنجويه) ، وفي رواية : (المسلمون شُركاءُ في ثَلاثٍ : في الكلأِ، والماءِ، والنارِ) (سنن أبي داود) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلَاثَةٌ لاَ يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ: رَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذِبٌ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ رَجُلٍ مُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ مَنَعَ فَضْلَ مَاءٍ فَيَقُولُ اللهُ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ) (صحيح البخاري) ، فحق الانتفاع بالماء مكفول للجميع دون إسراف ولا إفساد أو احتكار ؛ لذا فإن من أساء استخدام الماء فقد تعدى على حق الغير ، وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رضي الله عنهما) أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ الْوُضُوءُ؟ فَدَعَا رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِوَضُوءٍ فَغَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى ثَلَاثًا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ ثَلَاثًا ثَلَاثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَظَاهِرِ أُذُنَيْهِ مَعَ رَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ: (هَكَذَا الْوُضُوءُ فَمَنْ زَادَ عَلَى هَذَا

فَقَدْ تَعَدَّى وَظَلَمَ) (المعجم الكبير) ، فجعل النبي (صلى الله عليه وسلم) الزيادة على قدر الحاجة في الاستخدام ظلمًا وإساءة في استعمال النعم التي أنعم الله بها علينا ، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم): (إنَّه سيكونُ في هذه الأمَّةِ قومٌ يَعتَدونَ في الطُّهور والدُّعاء) (سنن أبي داود) ، فهذه إشارة منه (صلى الله عليه وسلم) إلى أن الإسراف في استخدام الماء تعدٍّ على الآخرين .

❋ ❋ ❋

مفاهيم فقهية ينبغي أن توضح في المحافظة على الماء

١. إذا حلت بالماء نجاسة ولم يتغير أحد أوصافه (يعني أي صفة من الصفات الثلاثة: الطعم أو اللون أو الرائحة) ، فالماء باقٍ على أصله : (طاهر مطهر)، سواء في ذلك قليل الماء وكثيره (بداية المجتهد ، لابن رشد : ١/ ١٧).

٢. ما يقع في الماء من ورق الأشجار والطحالب، أو ما تحمله الريح فتسقطه في الماء، أو تجذبه السيول من العيدان والتبن ونحوه ، فيتغير الماء به ، كل ذلك لا يخرجه عن أصل طهوريته ، بمعنى أنه باقٍ على أصله : (طاهر مطهر) ؛ لأنه مما يعسر الاحتراز منه (البحر الرائق شرح كنز الدقائق: ١/ ٧١).

٣. وكذلك ما يوضع في المياه من مطهرات (مثل الكلور وغير ذلك) ، فإنها لا تخرجه عن طهوريته ، حتى لو وجد أثرها في الماء ؛ لأنها لا تخرجه عن إطلاق اسم الماء عليه ، فلا يقال مثلا: (ماء الكلور).

٤. إذا خالط الماء شيء طاهر يمكن التحرز منه فغير أحد أوصافه (الطعم أو اللون أو الرائحة) ، فقد اختلف أهل العلم في الوضوء به ، فذهب مالك والشافعي وأحمد في رواية إلى عدم جواز الوضوء به ، وذهب أبو حنيفة وأصحابه وأحمد في رواية أخرى إلى جواز الوضوء به ؛ لأنه طهور خالطه طاهر فلا يسلبه اسم الماء ، ولا رقته ، ولا جريانه (المغني لابن

قدامة: ١/ ٣٩،٤٠) ، وهو ما نميل إلي الأخذ به وترجيحه ، كون ما خالطه طاهرًا ، وليس نجسًا.

٥. إذا وقع تراب في الماء فغيره : فإنه لا يقدح في طهوريته الماء ؛ لأن التراب يوافق الماء في صفتيه : الطهارة والطهورية. (مغني المحتاج ، للخطيب الشربيني: ١/ ٥٠).

٦. الماء الآجن : وهو الماء الذي تغير بطول مكثه في المكان ، وحكمه : أنه باقٍ على أصله ، (الشرح الكبير ، لابن قدامة المقدسي: ١/ ٣٦-الإجماع ، لابن المنذر : ص٤)، وعلى هذا : لو وضع ماء في خزان لمدة طويلة فتغيرت رائحته ، أو تغير لونه، أو تغير طعمه : جاز الوضوء به .

٧. إذا اغتسل الإنسان الغسل الواجب ، فبدأ بالصابون ، ثم أراق الماء على جسده وعليه الصابون ونحوه ، فالغسل صحيح ، فقد قال ابن مسعود (رضي الله عنه) : "إذا غسل الجنب رأسه بالخطمي: أجزأه" ، والخطمي : نوع من النبات يغسل به الشعر .

٨. مياه الرشح والمجاري التي تنقى وتخلص مما طرأ عليها من النجاسات بواسطة الطرق الفنية الحديثة (بحيث لا يُرى فيها تغير بنجاسة في طعم أو لون أو ريح) ، طاهرة ، ويجوز استعمالها في إزالة الخبث ورفع الحدث.

حكم الآسار (وهو الماء الذي يتبقى في الإناء بعد الشرب منه) :

١. سُؤر الآدمي : الآدمي طاهرّ في نفسه ، وسؤره وعرقه طاهران ، سواء كان مسلمًا أم كافرًا ، وسواء كان رجلًا أم امرأة ، وسواء كانت المرأة

حائضًا أم غير حائض اعتبارًا بأصل الخلقة ، وتكريمًا من الله للإنسان . (الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ١/ ٣٤٥).

٢. سؤر الحيوان مأكول اللحم (أي : الذي يؤكل لحمه) طاهر (التبصرة ، للَّخْمِيِّ : ١/ ٦٠، الإجماع لابن المنذر: ١/ ٥) ، وعرقه كذلك طاهر .

٣. سؤر الهرة : الهرة طاهرة ، وعرقها وسؤرها طاهر .

٤. سؤر البغال والحمير : قال ابن قدامة (رحمه الله) : "والصحيح عندي طهارة البغل والحمار ؛ لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يركبها وتركب في زمنه ، وفي عصر الصحابة ، فلو كان نجسًا لبين النبي (صلى الله عليه وسلم) ذلك" (المغني: ١/ ٥٠) ، وكذلك سؤر الخيل على قول أبي يوسف ومحمد من الحنفية (بدائع الصنائع ١/ ٦٤) .

٥. سؤر السباع وجوارح الطير والحشرات ، ونحو ذلك : اختلف أهل العلم في طهارته ، فذهب المالكية إلى طهارتها ، وذهب الحنفية إلى نجاستها، والراجح أن سؤرها طاهر ، والله أعلم .

مشروعية الاستسقاء :

لأهمية الماء فقد شرع لنا طلب الاستسقاء عند شح الماء أو ندرته ، وله صور منها : صلاة الاستسقاء جماعة ، وهذه أفضلها وأكملها، وهي سنة مؤكدة عند جمهور الفقهاء .

وقد يكون طلب السقيا بالدعاء في خطبة الجمعة ، أو بالدعاء من غير صلاة ولا خطبة ، وكذلك شرع لنا طلب السقيا بكثرة الاستغفار ، ونية

الاستسقاء ، قال تعالى: { فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ
ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ
أَنْهَـٰرًا }[نوح: ١٠:١٢].

* * *

ملحق فني

من إعداد وزارة الموارد المائية والري

بعض الحقائق عن الموارد المائية في مصر (1)

الوضع المائي لجمهورية مصر العربية :

- إجمالي موارد مصر المائية نحو ٥٩ مليار متر مكعب سنويّا ، عبارة عن: ٥٥,٥ مليار متر مكعب حصة مصر من مياه النيل ، ١,٦٥ مليار متر مكعب أمطار على الساحل الشمالي وسيناء ، حوالي ٢,١٠ مليار متر مكعب من المياه الجوفية غير المتجددة .
- تعتمد مصر على مياه النيل كمورد رئيس للمياه ، والذي يمثل ٩٧٪ من الموارد المائية المتجددة في مصر .
- احتياجات مصر من الموارد المائية : ٨٠ مليار متر مكعب سنويّا قابلة للزيادة حسب الزيادة السكانية .
- الفجوة بين الموارد والاحتياجات حاليا : حوالي ٢١ مليار متر مكعب يتم تدبيرها من خلال تنقية وإعادة استخدام مياه الصرف الزراعي ومياه الصرف الصحي المعالجة .
- المياه الافتراضية : مصر تستورد ٣٤ مليار متر مكعب في السنة (استيراد محاصيل زراعية لسد الفجوة الغذائية) وهذا الرقم في ازدياد بزيادة معدلات الزيادة السكانية وثبات مواردنا المائية .

* * *

(1) المصدر : وزارة الموارد المائية والري .

ومن أهم التحديات التي نواجهها في مجال المياه

- ثبات كمية الموارد المائية ومحدوديتها .
- نمو سكاني مطرد ، مع خطط التوسع الزراعي والعمراني الضرورية في الأراضي الصحراوية .
- التغيرات المناخية .
- عدد سكان مصر في تزايد مستمر بينما الموارد المائية من مياه النيل محدودة ومحددة (٥٥,٥ مليار متر مكعب سنويا) منذ اتفاقية ١٩٥٩م .
- تناقص نصيب الفرد من المياه من حوالي ٢٠٠٠ مترًا مكعبًا / فرد / سنة عام ١٩٥٩ إلى حوالي ٦٣٠ مترًا مكعبًا / فرد/ سنة عام ٢٠١٥.
- من المتوقع أن يصل عدد سكان مصر في عام ٢٠٥٠ إلى حوالي ١٥٠ مليون نسمة مما يعني أن نصيب الفرد من المياه سيقل ليصل إلى حوالي ٣٧٠ مترًا مكعبًا / فرد/ سنة .

* * *

جهود الدولة في تعويض نقص المياه

- التوسع في جمع وتخزين مياه الأمطار والسيول.
- التوسع في تحلية مياه البحار والمياه الجوفية.
- الاستخدام الأمثل للموارد المائية المتاحة ، وتقليل الفاقد ، وتحسين الشبكات ، والتخطيط الأمثل للمشروعات المستقبلية القائمة على توفير مياه الشرب .
- تحسين أنظمة توزيع المياه وتطوير نظم قياس كميات المياه المستخدمة.
- مراجعة وتعديل مآخذ محطات مياه الشرب من النيل والترع الرئيسة لتتوافق مع انخفاض مناسيب المياه المحتمل .
- تطهير الترع والمصارف والقنوات المائية ، ومجرى النيل خاصة من الحشائش والنباتات الحولية المستهلكة لكميات كبيرة من المياه بدون فائدة .
- التحول التدريجي إلى وسائل الري الحديثة ، والتقليل من الزراعات كثيفة استهلاك المياه .

❋ ❋ ❋

نصائح وإرشادات عامة

أـ سلوكيات سلبية يجب تجنبها :

• **في المنازل والمؤسسات الحكومية والمدنية** :

- ترك الصنابير مفتوحة في المنزل ، أو المسجد ، أو الكنيسة ، أو المدرسة ، أو المؤسسة الحكومية أوالأهلية .
- الإسراف في استخدام المياه في الغسيل والاستحمام والمطبخ والحلاقة .
- ري الحدائق المنزلية بالمياه النقية مما يستنزف كميات كبيرة من المياه.
- الإسراف في غسيل السيارات فوق ما تقتضيه الضرورة .
- رش الشوارع بالمياه العذبة .

• **في مجال الزراعة** :

- الري بالنهار في فترة الظهيرة .
- كميات مياه زائدة عن الحد يمكن أن تهلك النبات .
- زراعة الأرز بالمخالفة وبالطريقة التقليدية .
- زيادة مساحات القصب على حساب البنجر بالمخالفة للتعليمات وتجاوز المساحات المحددة لذلك .
- عدم الالتزام بأدوار المناوبة .
- عدم صيانة الترع والمساقي أوتطهيرها .
- ري الحدائق أو البساتين بمياه الشرب النظيفة ، أو ريها بطريق الغمر .

ب- سلوكيات إيجابية يجب اتباعها :

☐ **في المنازل والمؤسسات الحكومية والمدنية:**

- لا تفتح صنبور الماء على آخره .
- لا تترك صنبور الماء مفتوحًا أثناء الاستعمال .
- نظف أسنانك باستعمال كوب ماء ثم الصنبور في الغسيل .
- توضّأ من إناء مملوء بمياه نظيفة أو افتح الصنبور باعتدال .
- تأكّد أن (السيفون) لا يُسرِّب الماء .
- تجنّب سحْب (السيفون) بلا داعٍ .
- إذا حدث تسرُّب من الحنفيّة فأسْرِع بإصلاحها.
- افْحَصِ الحنفيّات والمواسير كل فترة ؛ لمنع أي تسرب .
- غسل الخضروات والفاكهة والأرز باعتدال وعدم الإسراف في ذلك ، بحيث يتم غسل الخضروات في إناء بدلا من غسلها بالماء المتدفق من الصنبور.
- إمكانية الاستفادة من الماء المستخدم في غسيل هذه الأشياء في ري الحديقة .
- عدم استخدام مياه الشرب في ري الحديقة.
- ري الحديقة بالرش وليس بالخرطوم أو الغمر .. واستخدام كمية معقولة من المياه في ري الحدائق والبساتين والنباتات المنزلية .
- اغْسل السيارة بالدّلو، وليس بالخرطوم .

- لا ترش مياه الشرب في الشارع ولا أي مياه صالحة للاستعمال .
- إذا رأيت تسرب مياه ، أو ماسورة مكسورة ، أبلِغْ عنها فورًا .
- استعمال صنابير مياه موفرة وسهلة الفتح والغلق أو جهاز ترشيد استهلاك المياه يتم تركيبه على الحنفية أو الخلاط .
- لا تملأ حوْض الاستحمام (البانيو)، بل اغتسل بـ (الدُّش) مع الترشيد ، وعدم فتح مصدر الماء على آخره ، أو فوق الحاجة الضرورية للاغتسال ، أو من خلال وضع الماء في إناء يتم الاغتسال منه ، حيث إن استخدامه بدلًا من البانيو أو الدش يسمح بتوفير كمية أكبر من الماء .

□ **في مجال الزراعة** :

- الحد من زراعة القصب وتوفير سلالات جديدة من الأرز .
- إعادة استخدام مياه الصرف الزراعي والصرف الصحي المعالج.
- دعم مشاركة مستخدمي المياه في استخدام نظم الري الحديثة وتطهير المصارف والترع وتبطين المساقي .
- الاستفادة القصوى من مياه الأمطار والسيول وتطبيق أحدث أساليب حصاد الأمطار .
- زراعة محاصيل قصيرة الموسم الزراعي .
- استخدام نظم الري الحديثة ، مثل الري بالرش والري بالتنقيط خاصة في الأراضي الجديدة .

- تطوير طرق الري السطحي لأراضي الدلتا .
- ري حقـول البسـاتين والخضـر باستخـدام الـري بالتنقيـط بدلا من الري بالغمر .
- تشجيع المزارعين على الري ليلا ، وعلى وسائل وأساليب وطرق الري الحديثة .
- تسوية الأرض بالليزر للحصول على حد أدنى للارتفاعات داخل الحقل.
- سرعة إزالة الحشائش المائية التي تظهر على أسطح قنوات الري مثل ورد النيل .
- تطوير وتطهير المساقي والمراوي الترابية والصيانة المستمرة للترع والمصارف .
- الحفاظ على مواسير الصرف الزراعي وعدم التعدي عليها .
- ترك مساحة في نهاية الأرض بدون ري من أجل استقبال التصفية وعدم الإسراف في الماء.
- استخدام الأسمدة العضوية فقط وترشيد استخدامها .
- إدارة المخلفات الصلبة .
- الالتزام بمواعيد الزراعة والحصاد .
- الالتزام بمواعيد الري .

- الالتزام بكميات التقاوي المقررة .
- ممارسات مميزة مثل زراعة الأرز على خطوط أو مصاطب.
- استخدام المحاصيل التي تستهلك كميات أقل من مثل البنجر بدلا من القصب وجلب سلالات أرز موفرة وتتحمل الجفاف.
- بنجر السكر يوفر مياه الري ويعطي إنتاجية أفضل.
- مقاومة ورد النيل لأنه مستهلك رئيس للمياه.
- الالتزام بالمساحات المقررة لزراعات الأرز وقصب السكر .

ومن السلوكيات الهامة التي يجب اتباعها والتنبه لها :

- الحفاظ على نوعية مياه نهر النيل والمجاري المائية وعدم تلويثها أو إلقاء أية مخلفات صلبة أو سائلة في عرض المجرى المائي أو على الجسور.
- توفير البديل من خلال التعاون في وضع صناديق مخصصة للقمامة وجمع المخلفات الصلبة وتشوينها بعيدًا عن المجاري المائية.
- عدم إلقاء الحيوانات أو الدواجن النافقة في المجاري المائية.
- عدم إقامة الأقفاص السمكية في نهر النيل أو الترع الرئيسة أو الفرعية.
- فرض عقوبات رادعة على المصانع التي تلقي بمخلفاتها في نهر النيل.
- تطبيق التقنيات الحديثة في معالجة المياه مثل الأوزون بدل الكلور.
- تطبيق قوانين حماية النيل والمجارى المائية من التلوث بحزم.
- تحديد أولويات استكمال وحدات معالجة الصرف الصحي والصناعي.

- تغطية المجارى المائية داخل الكتل السكنية.
- نشر التوعية بأهمية قطرة المياه على مستوى كافة المؤسسات والهيئات ومنظمات المجتمع المدني وكافة فئات المجتمع .
- عدم صـرف سيـارات الكسح في التـرع أو المصـارف الزراعية والإبلاغ عمن يفعل ذلك .
- عدم رش الزرع بالمبيدات الحشرية ؛ لأنها تلوث التربة والنباتات .
- عدم استخدام الأسمدة الكيماوية للحفاظ على التربة والتحول للأسمدة العضوية والحيوانية .
- تحويل كل ما سبق إلى ثقافة مجتمعية رشيدة في استخدام المياه والحفاظ عليها .

❊ ❊ ❊

فهرس الموضوعات

* * *